السخاوى ومنهجه فى كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ

دكتور / محمد نيسان سليمان
جامعة الأزهر بأسيوط

السخاوى مؤرخ من علماء القرن التاسع الهجرى ، قدم لتراثنا الثقافى مؤلفات كثيرة فى مختلف فروع المعرفة استفاد منها الباحثون فى مجال الدراسة التاريخية وغيرها ومازالوا على الرغم من أنه عاش فى فترة زمنية غير مستقرة سياسيا فقد عاصر السخاوى دولة السلاطين الجراكسة ، وهى دولة عسكرية متعسفة استحوذت على السلطة فى مصر بصورة سيئة(١) .

يضاف الى ذلك الأحوال المالية بمصر ، فان المماليك منذ نشأة دولتهم الى آخر أيامهم استحوذوا أيضا على خيرات أرض مصر بحيث أصبحت لهم أشبه بملكية خاصة من السلطان الى أصغر مملوك وقد ترتب على ذلك أن تحول عدد غير قليل الى أجراء .

---

(١) راجع : كتاب المماليك فى مصر والشام د. سعيد عاشور .

ولعل الذى ساعد على ازدهار الثقافة العربية فى مصر مع الوضع الاقتصادى السيء ، أن مصر أصبحت وحدها حاملة لمشعل الثقافة العربية بعد أفول المراكز الثقافية فى الشرق ، ولا سيما بغداد نتيجة الغزو المغولى وفى الأندلس مثل قرطبة ، وقد كان لاحتكار المماليك لشئون السياسة فى مصر ، سبب آخر فى أن جعل العلماء ينفرغون لبث العلوم بين الناس والطلاب بصفة خاصة(٢) بحيث نبغ عدد كبير منهم فى مختلف العلوم ، وكان من هؤلاء السيوطى ، والمقريزى وابن حجر والذهبى والسخاوى وابن خلدون وغيرهم وقد عبر عن ذلك ابن خلدون حيث قال : ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر ، فهى أم العالم ، وايوان الاسلام ، وينبوع العلم والصنائع(٣) .

والسخاوى عاش فى ذلك العصر ، الذى نضج فيه مفهوم وماهية التاريخ وتأثر بذلك ، ورأى أن موضوع التاريخ هو الانسان والزمان فهو يرى التاريخ فى نظره أكثر شمولا من غيره من المؤرخين وهو أحد تلاميذ ابن حجر العسقلانى ، وأحد معاصرى السيوطى ومنافسيه .

السخاوى :

هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن عثمان بن محمد . عرف بألقاب كثيرة ، لشهرته ، منها : الحافظ ، شمس الدين ، وكنى بكتبه منها أبو الخير ، وأبو عبد اللاه ، أبو محمد : ولكن الذى عرف به وترجم له : هو لفظ السخاوى ، ونسب السخاوى هذا : يرجع

---

(٢) نفس المرجع السابق ص ١٨٥ .

(٣) راجع : مقدمة ابن خلدون ص ١٠٨ ، الضوء اللامع للسخاوى ص ٧ ، ص ١٧٢ .

الى سخا وهى بلدة غربى الفسطاط بمصر(٤) فهو قاهرى نسبة الى القاهرة ، وشافعى نسبة الى مذهب الامام الشافعى ، الذى أخذه السخاوى مذهبا له •

ولد السخاوى فى ربيع الأول سنة احدى وثلاثين وثمانمائة من الهجرة ، بحارة بهاء الدين محل أبيه وجده(٥) فهو سخاوى قاهرى شافعى المذهب ، نشأ السخاوى فى بيت علم وحبب اليه حفظ القرآن الكريم ، فأقبل عليه وحفظه وهو صغير ، وصلى به فى شهر رمضان وحفظ عمدة الأحكام والفقه والمنهاج ، وألفية ابن مالك العراقى والنخبة لابن حجر ، وقد حرص السخاوى على ملازمة ابن حجر ، فسمع الأحاديث الكثيرة منه ، فكان من أكبر الأخذين عنه وأعانه على ذلك قرب منزله ، فكان لا يفوته وقد علم ابن حجر شدة حرص السخاوى على ذلك ، فكان يرسل خلفه أحيانا بعض خدمه ، يأمره بالحضور للقراءة • والدرس ، ولما وثق ابن حجر من السخاوى أذن له فى القراءة والافادات ، والتصنيف للكشف عن التراجم والمتون وسائر الاصطلاحات ، حتى صار أكثر أهل العصر سموعا وأكثرهم رواية وقال عنه ابن حجر : هو أمثل جماعتى واذن له •

وبعد وفاة شيخه الشهاب ابن حجر ، سافر الى مكة والمدينة أكثر من مرة للحج والمجاورة ، والتقى بالعلماء فى مكة ، وقرأ بها الكتب الكبار والأجزاء الصغار ما لم يتهيأ لغيره من الغرباء ، ثم رحل الى

---

(٤) راجع شذرات الذهب فى اخبار من ذهب • لابن العماد الحنبلى جـ ٢ ص ١٥ ، الضوء اللامع للسخاوى والمقدمة ، الاعلان التوبيخ لمن ذم أهل التاريخ المقدمة •

(٥) راجع : النبر المسبوك فى ذيل السلوك للسخاوى ص ٢ — ٣ شذرات الذهب لابن العماد جـ ٨ ص ١٥ •

الآفاق وجلب البلاد ، ودخل حلب ودمشق وبيت المقدس وغيرها طلبا العلم ، واجتمع له من المرويات بالسماع والقراء ما يفوق الوصف ، ثم عاد الى القاهرة ولازم الاستقال والاشغال والتأليف لم يفتر أبدا فانتفع به الخاصة والعامة والكبير والصغير ، وانتشرت فى عصره الأسانيد المحررة والاسمعة الصحيحة ، والروايات المفيدة ، فاستفاد منها السخاوى وافاد(٦) ومن ثم فان السخاوى تعلم تعليما دينيا أثر فيه وكان له صدى فى مؤلفاته التى ألفها ، يضاف الى ذلك أن السخاوى كان له منهجا تاريخيا مخالفا لمنهج المؤرخين فى القرن التاسع الهجرى، متأثرا بشيوخه وظروف عصره(٧) .

مؤلفات السخاوى :

السخاوى قدم للتراث العربى مؤلفات كثيرة ومفيدة ، أغلبها يميل الى العلوم الدينية والتاريخية وهذا يرجع الى النشأة والتربية من هذه المؤلفات .

١ ــ « الجواهر والدرر » فى ترجمة الشيخ ابن حجر .

٢ ــ « فتح الغيث » بشرح الفية الحديث .

٣ ــ «الضوء اللامع فى أخبار أهل القرن التاسع» ويسمى الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ويقع فى ست مجلدات ذكر فيه ترجمة لنفسه على عادة المحدثين وهو مطبوع .

٤ ــ المقاصد الحسنة فى الأحاديث الجارية على الألسنة وهو أجمع وانقى من كتاب السيوطى المسمى بالجواهر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة .

---

(٦) راجع الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوى جـ ١ ص ٢

(٧) راجع : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ص ١٥ السخاوى

وفى كل واحد منهما ، ما ليس فى الآخر •

٥ ــ القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع ، وهو نفيس جـــدا •

٦ ــ التاريخ المحيط على حروف المعجم •

٧ ــ عمدة المحتج فى حكم الشطرنج •

٨ ــ تلخيص تاريخ اليمن •

٩ ــ الأصل الأصيل فى تحريم النقل من التوراة والانجيل •

١٠ ــ تحرير الميزان •

١١ ــ عمدة القارىء والسامع فى ختم الصحيح الجامع •

١٢ ــ غنية المحتاج فى ختم صحيح مسلم بن الحجاج •

١٣ ــ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ(٨) •

وهـــذا الكتاب الأخـــير هو الذى ميز الســـخاوى عن غـــيره من المؤرخين فى تناولهم لمفهوم علم التاريخ •

السخاوى بين معاصريه :

السخاوى كان يقدر مشايخه ومن تلقى على أيديهم العلم ، وقد قال عنه ابن حجر هو أمثل جماعتى(٩) وبقدر اقرانه يوم أن كان يافعا من طبقة التلاميذ ، وقد مدح السيوطى : حيث قال : فى ترجمة والده،

---

(٨) راجع : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ للسخاوى ص ٣.

(٩) راجع : الاعلان المقدمة •

وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن ، أحد من أكثر التردد على، ومدحنى نظما ونثرا نفع الله به(١٠) كما أثنى عليه فى مناسبات متعددة، ولكنه عاد وتحامل على السيوطى فى كتابه الضوء اللامع ، واتهمه بالحمق والسرقة ، واتهمه فى آخر أيامه كلما وجد مناسبة ، تحامل عليه وذمه ، ودافع السيوطى عن نفسه فى رسالة له وسماها « الكاوى على تاريخ السخاوى » ذكر فيها أن السخاوى « حقير نقير لا يباع فى سوق العلم بقطمير(١١) أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره ، وأغرق فيه عمله،وسلق فيه أعراض الناس ، وملأه بمساوىء الخلق(١٢) ورد عليه السخاوى فقال : ويمكن تفسير الكم الوافر من المؤلفات الكبرى والصغرى للسيوطى ، بأن كثيرا من رسائله الصغير لا يزيد الواحدة منها على مقالة طويلة أو صغيرة أو مختصرة منها « ما هو ورقة وما هو دون كراسة »(١٣) .

يضاف الى ذلك أن السخاوى اتهم السيوطى بأنه اختلس مؤلفاته منه حين كان يتردد عليه فأخذ عنه كما يقول : الخصال الموجبة للضلالة ، والأسماء النبوية والصلاة على النبى الخ ، بل أخذ من مكتبة المدرسة المحمدية وغيرها كثيرا من التصانيف القديمة التى لا عهد للكثير من المعاصرين بها ، وقدم وأخر ونسبها الى نفسه(١٤) على أن السيوطى لم يتغاض عن حملات السخاوى عليه ، بل سخر

---

(١٠) راجع : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ ٤ ص ٦٦ .

(١١) راجع الكاوى على تاريخ السخاوى مخطوط دار الكتب ورقة ٢ ـ ٣ .

(١٢) نظم الاقدام فى أعيان الأعيان تحقيق فليب حتى ص ١٥٢ .

(١٣) راجع الضوء اللامع للسخاوى جـ ٤ ص ٧٠ ـ ٧٥ .

(١٤) راجع الضوء اللامع للسخاوى جـ ٤ ص ٦٩ .

منه وتحامل عليه فى مؤلفاته التى أفرد مؤلفا منها للذيل من السخاوى سماه كما ذكرت .. الكاوى فى تاريخ السخاوى ، وجاء فيه نزهت أعراض الناس ، وهدمت فى تاريخه من أساس(١٥) .

وأرى أن هذه الاتهامات والقدح لا يجوز بين مثل هؤلاء العلماء الذين قدموا لتراثنا التاريخى والحضارى مؤلفات كثيرة وكان الأجدر بهما أن ينأيا عن مثل هذه الأمور التى تجعل الباحثين ينظرون اليها نظرة تقلل من قدرهما العلمى وقد أعجبنى موقف أحد الباحثين حيث قال وأصبح القرن التاسع الهجرى معسكرا يقوده السخاوى ومن قواده ابن الكركى ، وابن العليف تليمذ الجوهرى،وأحمد بن العسقلانى يقوده السيوطى ومن أنصاره الفخر الديمى وأمين الدين الأقصرانى وسراج الدين العباسى وغيرهم ، ويتناول المعسكران التهم والنقائص والسباب وذكر المثالب وأخذت الخصومة بينهما زمنا ليس بالقليل ويرى البحث أن واجب العلماء فى كل عصر أن يترفعوا عن مثل هذه الخصومات التى قد يساء الظن فى فهم المراد منها والتى تشوه سمعة أئمة جيل بأكمله(١٦) .

علم التاريخ بين العلوم الأخرى :

ارتبطت الكتابة التاريخية منذ بدايتها فى صدر الاسلام بالعلوم الدينية ارتباطا وثيقا ، فكان المؤرخون الأولون يكتبون فى السيرة النبوية وفى المغازى وفى نسب قريش ، وفى الطبقات وفى التراجم لرجال والفقه والتفسير ومما لاشك فيه أن القرآن الكريم أكثر على

---

(١٥) راجع الكاوى فى تاريخ السخاوى مخطوط .

(١٦) راجع بحث السيوطى والدراسات القرآنية : د. أحمد عمر هاشم ص ٢١٦ .

أمثلة الشعوب الماضية البائدة لما تنطوى عليه هذه الأمثلة الدينية من عبر دينية ، ومواعظ خلقية ، كما جاء القرآن الكريم بنظرة علمية الى التاريخ ممثلة فى تتابع النبوات ، وكان لهذه النظرة أثرها العميق فى اهتمام المسلمين بدراسة « تاريخ الرسل والأنبياء »(١٧) .

يضاف الى ذلك أحوال الأمم السابقة لأمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وقع الاستبدال بالتاريخ فى الكتاب العزيز ، حيث قال الله تعالى : « قل يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون »(١٨) وهذا من ألطف الاستدلال وانفسه من حيث أنه تعالى : استدل على بطلان دعوى اليهود فى ابراهيم عليه السلام انه يهودى وبطلان دعوى النصارى فى ابراهيم عليه السلام أنه نصارى،وصورة أخرى للاستدلال قال الله تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ، ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق ، وموعظة للمؤمنين »(١٩) ثم قال أيضا فى كتابه العزيز : « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ، حكمة بالغة فما تغنى النذر »(٢٠) .

ثم صورة أخرى يستدل بها على أخبار الأمم ، فقال تعالى : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شىء »(٢١) واستدلال

---

(١٧) راجع : التاريخ العربى والمؤرخون د. شاكر مصطفى ج١ ٢١١

(١٨) سورة آل عمران آية ٦٥ .

(١٩) سورة هود آية ١٢١ .

(٢٠) سورة القمر آيات ٤ ـ ٥ .

(٢١) سورة يوسف آية ١١١ .

آخر من كتاب الله تعالى على علم التاريخ للأهلة ، فقال تعالى : « يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج »(٢٢) وفى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل ، الكثير والكثير من الأدلة على أن التاريخ علم له فوائد ولكن مجال البحث لا يتسع لها .

يضاف الى ذلك أن كتب الحديث بها الكثير من الأدلة على أن علم التاريخ مفيد ، ولا غنى لعلم من العلوم عنه ، روى السيوطى فى الجامع الصغير — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار »(٢٣) .

وكذلك روى ابن عباس رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام ، رجل آدم طواله جعد ، كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس وأرى مالكا خازن النار ، والدجال فى أيات ، أراهن الله اياه »(٢٤) .

وقد كان تطور الكتابة التاريخية جزأ من التطور الثقافى الذى عرفه المجتمع الاسلامى فى القرون الثلاثة الأولى ، وهذا التطور كان اسلاميا صرفا ، لم يتأثر بمؤثرات ثقافية أجنبية ، أى فى جوانب منه ومحددة ، واذا كان التاريخ تعبيرا عن مشيئة الله فى الناس وقدر

---

(٢٢) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢٣) راجع الجامع الصغير للسيوطى جـ ١ ص ٧٦ .

(٢٤) راجع صحيح مسلم جـ ٢ ص ٢٢٧ — ٣٢٨ .

استخدم للعبرة ولبيان التجارب والخبرات والاجماع والسنن ، واذا كان اعتبر منذ البدء ، علما خاصا أو نوعا من العلم ، فانه بالمقابل غير اتجاه نحو الفلسفة الجبرية ونحو ارتباط الانسان بقدر الله ، كما عبر عن شعور متزايد بقيمة التراكم الزمنى فى تكوين الأمة(٢٥) وفى القرون الثلاثة الأولى كما ذكرت لم يوضح علم التاريخ عناصره فى المنهج والمادة وصار علما مستقلا ، بصرف النظر عن مكانته غير البارزة بين العلوم الاسلامية الأخرى •

ومع بداية القرن الرابع والخامس الهجرى ، بدء علم التاريخ مسيرته العلمية المستقلة الى حد كبير ، مسجلا طورا خاصا جديدا ، فى تلك المرحلة ومتأثرا دون شك بنمو العلوم الأخرى ، واتساع نطاق الحضارة المادية وانتشار الورق •

واذا كان علم التاريخ حسب المفهوم القديم ، ادى الكثير من الكتاب تسجيل أخبار الأحداث والناس ، فقد كان دوما بالضرورة على صلة بأحداث السياسة واخبار الرجال ولاشك انه تأثر بها أكثر من تأثر أى علم اسلامى آخر ، بل لعل الفروع الثقافية كلها كانت تسير وتطور من وراء الأحداث ومن فوقها ، فان الفقيه والنحوى والمحدث وصاحب الفلسفة لا يهتمون بالحاكم ولا بالمعارك الخارجية ولا الطبيب باحتلال بلد أو بموت حاكم ، أما المؤرخ فان عينه ويده مرتبطتان بالأحداث نفسها وهو صورة للعصر الذى يعيش تأثر به ويؤثر فيه ، ولذا فقد أضحى علم التاريخ فى جانب التراجم ، وفى جانب الحوادث ، ركنا أساسيا فى علم المحدثين ورجال الفقه ، والدين ، والأدب الكل يطالعه ، ويدرسه ويؤلف فيه ، وأصبح علم التاريخ من

---

(٢٥) التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص ٢١٥ د• شاكر مصطفى

المهمات ومشاغل أهل العلوم الدينية بأنفسهم ، وبجانب هذا فان رجال السياسة من خلفاء وحكام وأمراء ووزراء وكتاب ، وحجاب وبلاط عملوا بدورهم فى الحقل التاريخى ، وبعضهم حتى من الخلفاء كتبوا التاريخ واذا كان هؤلاء كتبوا التاريخ ولمؤلفاتهم ميزة خاصة فلأنهم كانوا يضعون أيديهم عمليا على مناجم التاريخ الأساسية من دواوين ومن وثائق ووسائل وغيرها ، ولم يكن أصحاب العلوم الأخرى على اهتمامهم العلمى والفلكى والرياضى والفلسفى ، بالبعيدين عن الاهتمام التاريخى وهناك أمثلة كثيرة من هؤلاء ألفوا لعلم التاريخ لأهميته وفوائده(٢٦) .

وهذا كله يعنى أن التاريخ قد أخذ يشتمل كعلم خاص ونشاط ثقافى يشغل أذهان المفكرين فى القرنين الرابع والخامس الهجرى وان لم يبحثه هؤلاء فى ذاته وفى دراسة خاصة به وقد استمر ذلك أيضا فى القرن السادس وما بعده من مؤلفات حتى النصف الثانى من القرن الثامن والقرن التاسع الهجرى لتظهر أولى الأبحاث الاسلامية الخاصة بعلم التاريخ نفسه وقد ظهرت أربعة أو خمسة أعمال متتابعة وظهرت على أرض مصر العزيزة أرض الأمجاد والبطولات وحملت فى الغالب طابع الدفاع عن علم التاريخ(٢٧) أكثر مما حملت من طابع التعمق والتحليل لكنهه وماهيته ومناهجه الفكرية وأولى هذه الأعمال : كتاب المختصر فى علم التاريخ « لمحيى الدين محمد بن سليمان الكافيجى المتوفى سنة ٨٧٩هـ(٢٨) ، وهى رسالة فى عشرين ورقة انتهى منها فى

---

(٢٦) راجع التراجم المؤرخون د. شاكر مصطفى جـ ١ ص ٢٣٠ .

(٢٧) راجع شذرات الذهب اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى جـ ٦ ص ٢١٨ .

(٢٨) راجع كشف الظنون حاجى خليفة والسخاوى كتاب الاعلان ص ١٣٠

سنة ٨٦٧هـ حسب ما ذكره السخاوى وكتاب الشماريخ فى علم التاريخ « للسيوطى » : المتوفى سنة ٩١١هـ(٢٩) ، وكتاب الشماريخ فى علم التاريخ لعبد الرحمن بن عبد القادر الفارسى المتوفى سنة ١٠٩٦هـ(٣٠) .

أما السخاوى فقد ألف كتابا أستدرك فيه على السابقين ما وقعوا فيه وهو كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، وسوف نقدم له دراسة نقدية فى هذا البحث لأهميته حيث اعتمد السخاوى على الكافيجى .

وقد اهتم الكافيجى برسالته فهى أقدم رسالة اسلامية معروفة عن علم التاريخ انها محاولة أولية هامة سبق بها الكافيجى الى طرق عدد من المسائل المتعلقة بخصائص علم التاريخ وغرضه وأهدافه وفوائده وأجاب عليها باختصار محاولا وضع نظرية للتاريخ وأصوله ومسائله(٣١) وقد طبق المنهج الفقهى وأراد استخراج منهج البحث والتدوين التاريخى وقد قدم الكافيجى مرة أخرى لهذا الفن كتاب آخر سماه « النصر القاهر والفتح الظاهر » ولم أتمكن من الاطلاع عليه ، وأما كتاب الشماريخ فى علم التاريخ للسيوطى فهى رسالة أخرى فى علم التاريخ لكنها صغيرة الحجم لا تزيد على عشرين صفحة وهى دون ذلك أقل شأنا بكثير من الناحية الفكرية لرسالة الكافيجى لأن السيوطى لم يحاول ايجاد فكرية جديدة تتعلق بالتاريخ كعملية علمية واكتفى بأن قسم الرسالة الى ثلاثة أبواب الأول منها فى بدء التاريخ أى الحوادث التى تتخذ

---

(٢٩) راجع التاريخ والمؤرخون د. شاكر مصطفى جـ ١ ص ٢١١

(٣٠) راجع كتاب الاعلان للسخاوى ص ١٣٠ .

(٣١) راجع التاريخ العربى والمؤرخون د. شاكر مصطفى ١/٢٢٥

بدء لتواريخ الناس كهبوط آدم وبناء البيت والهجرة ، والباب الثانى فى فوائد التاريخ وكلها ذات طـابع دينى أخلاقى ، وفى الباب الثالث جمع بعض المعارف التاريخية ومنها حسـاب التاريخ بالشهور والأيام فكأنما أراد عدم بحث ماهية التاريخ ولكن وضع بعض الأسس العلمية لتدوين التاريخ بين أيدى الناس(٣٢) ولذلك قال السخاوى عنها انها وريقات صغيرة غير مفيدة(٣٣) .

منهج السخاوى فى الكتابة التاريخية :

السخاوى من علماء القرن التاسع الهجرى ، تأثر منهجه بكثير من المؤرخين السابقين له وخاصة الذهبى والكافيجى ويظهر هذا التأثر فى نقل الروايات واسناده وقد اعتمد فى كتابه الضوء اللامع على الذهبى فى كتابه تاريخ الاسلام وقد غلبت على اسلـوب السخاوى النزعـة الدينية وقد انعكست هذه النزعة على صفحات كتبه التى ألفها وخاصة فى كتابه المقاصد الحسنة فى الأحاديث على الألسنة(٣٤) .

يضاف الى ذلك أن السخاوى نقل كثيرا من مؤلفات الذين عاصروه والذين سبقوه وكان النقل مألوفا فى العصور الوسطى وربما عاد الى ذلك قلة النسخ التى كانت تكتب من المؤلفات وعدم انتشارها انتشارا كافيا بسبب غلاء الورق وعدم اختراع آلات الطباعة(٣٥) ومثال ذلك

---

(٣٢) نفس المرجع السابق ص ٢٨٠ .

(٣٣) راجع الضوء اللامع للسخاوى جـ ٤ ص ٦٩ .

(٣٤) راجع كتاب الاعلان للسخاوى ص ٣ .

(٣٥) راجع بحث دراسـة نقدية لكتاب حسـن المحاضرة للسيوطى للدكتورة / سيدة الكاشف ص ١٣٨ .

نقله لكتاب الجواهر والدرر فى ترجمة ابن حجر وغيره(٣٦) .

السخاوى معاصر لأحداث القرن التاسع الهجرى ولاشك أن معاصرة المؤرخ العربى لأحداث زمانه تطبع رواياته بطابع الصدق والدقة — فالمؤرخ الذى يعيش فى زمن قريب من الزمن الذى دارت فيه الأحداث التى يقوم بتسجيلها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين، على تصويرها بألوانها الحقيقية ، ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة فى زمن الأحداث تعتمد كثيرا على المعاينة والمشاهدة والسمع من مصادر متنوعة والمعاينة والتحقيق يجنبان المؤرخ من الوقوع فى الأخطاء التى وقع فيها من لم يحذو حذوه والسخاوى حرمنا من كتابة تاريخية على نظام الحوليات لعصره ولو انه كتب لجاءت ملاحظته على الأحداث بصورة صادقة محايدة ولكنه لم يفعل وان قلة المعلومات التاريخية التى قدمها السخاوى فى الحوادث قياسا بالمادة الضخمة التى قدمها فى التراجم تجعل من العسير علينا ، أن نميز له منهجا خاصا فى هذا المجال خالف فيه غيره من كتاب الحوليات الذين سابقوه مثل الطبرى وابن الأثير وابن الجوزى ومما يلاحظ على منهج السخاوى أنه حشد فى بعض مؤلفاته ما هو غريب وعجيب كما فعل السيوطى فى بعض مؤلفاته ، وربما أن يكون دافعهم الى ذلك خلق أو افتعال جاذبية الباحثين ، ولكن أغلب مؤلفات السخاوى جاءت بصورة طيبة هادفة .

والسخاوى قدم كتاب الاعلان على فكرة جديدة ومنهج متطور له فوائد وأهداف . ولذلك رأينا أن نقدم دراسة منهجية له فى كتابه

---

(٣٦) راجع الاعلان للسخاوى ص ٤ .

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ :

ان السخاوى سلك منهجا فى القرن التاسع الهجرى ميزه عن غيره من معاصريه حيث ألف كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ(٣٧) فقد جعله عبارة عن عرض جميل لأهمية علم التاريخ وأوضح فى هذا المنهج صورة بارزة لفوائد علم التاريخ من بين العلوم الأخرى والذى دفع السخاوى الى هذا المنهج ان العصر الذى كان يعيش فيه كما ذكرت سابقا عصر غير مستقر سياسيا ومتدهور ماليا ، فنصب السخاوى نفسه مدافعا لعلم التاريخ وأهله .

ولابد أن السخاوى تأثر بمن سبقه من المؤرخين مثل الأستاذ محيى الدين الكافيجى الذى كتب رسالة فريدة من نوعها وهدفها وعنوانها المختصر المفيد فى علم التاريخ فيها نظرية التاريخ وأجاب عن المسائل المتعلقة بخصائص علم التاريخ وغرضه وهدفه وفوائده .

وعرف الكافيجى التاريخ بأنه علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله، وعن أحوال ما يتعلق به من غير تعين ذلك وتوقيته(٣٨) وبرهن الكافيجى على أن التاريخ علم كسائر العلوم المدونة كالفقه والنحو والبيان وغير ذلك ، وهذا الاستدلال يؤكد الحاجة الى علم التاريخ كما هى الحاجة الى أى علم آخر من العلوم الاسلامية .

ويرى الكافيجى أيضا أنه يشترط فى المؤرخ ما يشترط فى راوى الحديث وقد بينها فى رسالته حيث قال يشترط فى المؤرخ العقل

---

(٣٧) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ جـ ٤ .

(٣٨) المختصر المفيد فى علم التاريخ مخطوطة فى دار الكتب رقم ٥٢٨ / ورقة ٢ ـ ٣ .

والضبط والاسلام والعدالة(٣٩) ولاريب أن السخاوى تأثر بالكافيجى ومن سبقه من المؤرخين كالذهبى والسيوطى وترى ذلك واضحا فى كتابه الاعلان •

الا انه رأى أن موضوع التاريخ هو الانسان والزمان وبالتالى فهو يرى التاريخ فى نظره أكثر شمولا من نظرة الكافيجى خاصة، عندما فسر ذلك بقوله « بأن مسائل التاريخ هى أحوال الانسان والزمان المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للانسان وفى الزمان، ورأى السخاوى أن فائدة التاريخ هى معرفة الأمور على حقيقتها »(٤٠) •

وقد جاءت معلومات السخاوى وفيرة والروايات التى نقلها من المؤرخين السابقين كثيرة فى توضيح فائدة علم التاريخ حيث رتبها ترتيبا زمنيا متناسقا •

أما عن الاسلوب الذى كتب به السخاوى الاعلان اسلوبا سهلا طيبا ابتعد عن الألفاظ الصعبة والعبارات الغامضة حتى يتمكن الباحث من أن يدرك بسهولة هدف السخاوى من دفاعه ورده على الذامين لعلم التاريخ وأهله ، وهو جزء مهم فى الاعلان فقد قال « واما الذامون فمنهم من خصص ومنهم من عمم »(٤١) •

ويلاحظ على السخاوى حشد المادة الزائدة وهو ما يشوش على النص حيث انه استطرد فى توزيع العلماء على مختلف العصور التاريخية وكذلك مختلف المدن الاسلامية وقد أخذها من الذهبى مع تبديلات طفيفة(٤٢) •

---

(٣٩) اعلان بالتوبيخ ط ١٩٦٣ ترجمة د. صالح أحمد العلى ص ٥

(٤٠) المختصر المفيد فى علم التاريخ الكافيجى دار الكتب ورقة ٣

(٤١) راجع الاعلان للسخاوى ص ٨٦ ـ ٩١ •

(٤٢) راجع الاعلان بالتوبيخ السخاوى ص ١٧ ـ ٥٨ •

اهتم السخاوى بالنقد التاريخى فى عبارات موجزة أحيانا ولاذعة فى أخرى حيث قال : انتقد بعض المعاصرين لشيخنا كثيرا من تراجم معجمة ، بانتقادات ساقطة فلم يكن ذلك بمانع من التنافس فى تحصيل المعجم والتناقل عنه الى وقتنا بين العرب والعجم بل كان ولله الحمد سببا لاخماد القائم باظهاره ونشره وعدم استتاره ، مع اطفاء ذكره واخفاء فخره(٤٣) وقال أيضا واقحش أبو عمر بن المرابط فى حق الذهبى بسبب التاريخ ونحوه(٤٤) .

أن السخاوى لم يهتم بالتطابق والتجانس فى العناوين الرئيسية لكتابه الاعلان ، انما يتوقف طول الشرح للعنوان أو قصره على حسب الروايات والمعلومات التى يعتقد انها توفى بالغرض ، ومع ذلك فان الاختصار لبعض الروايات لا يعنى انه اختصار غير مفيد فحين يختصر يخرج القارىء بلب الموضوع وهذا منهج المؤرخ من فكرته ولغته ، وبحق فان السخاوى قدم للتراث العربى منهجا فريدا وفى هذا الكتاب طرح السخاوى أفكاره الأساسية عن التاريخ كعلم ، وجدواه وضرورته كأداة حضارية بيد أن الخلفية الثقافية للسخاوى كمحدث من جهة وحقيقة انه يندرج فى اطار « عالم الدين ـ المؤرخ » من جهة ثانية جعلته يؤكد أهمية التاريخ وجدواه باعتباره فرعا من فروع الثقافة المساعدة فى خدمة العلوم الدينية ، والحقيقة أن كتاب الاعلان ـ بالتوبيخ يعكس وجهة نظر عالم الدين أكثر مما يكشف عن رؤية المؤرخ وتتحدد أبعاد فكرة التاريخ لدى السخاوى من خلال أفكاره التى يطرحها فى كتابه اذ يقول وفى الاصطلاح التعريف بالوقت الذى تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن وحج

---

(٤٣) راجع الاعلان ص ١٥٠ ـ ٢٣٧ .

(٤٤) راجع الافلان ص ١٠٢ .

وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم فى ابتدائهم وحالهم واستقبالهم(٤٥) .

هذه هى الوظيفة الأولى لعلم التـاريخ ، وهى وظيفـة محدودة للغاية كما يراها السخاوى . وذلك أنه يجعل من التاريخ أداة لتتبـع سير الرواة والأئمة كغاية من أهم غايات هذا العلم . بيد أنه لا يهمل حوادث التاريخ الأخرى التى يراها تحتل درجة أدنى فى أهميتها من الدرجة التى تحتلها أحوال الرواة والأئمة . وحين يريد السخاوى أن يسوق لنا تعريفا جامعا مانعا لمصطلح التاريخ يقول «..والحاصل أنه فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت »(٤٦) .

وقد عرض شمس الدين السخاوى بعض جوانب مشكلة التاريخ عند المسلمين وأعطانا صورا من المآخذ التى كان علماء عصره يوجهونها الى أهل التاريخ وحاول الدفاع عنهم(٤٧) .

دراسة وصفية لكتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ :

الغرض من هذه الدراسة ، هو تصحيح بعض الأخطاء التى وقع فيها من قاموا بتحقيق كتاب الاعلان للسخاوى .

وصف نسخ المخطوطة :

١ ــ نسخة مخطوطة سنة ٨٩٧هـ :

توجد نسخة من كتاب الاعلان لم تطبع وهى الام كما يقال عنها فى لغـة التحقيق أو (أ) ولم أتبين مكانها ولكن من خـلال العبارات

---

(٤٥) الرؤية الحضارية للتاريخ د. قاسم عبده قاسم ص ٢٠ .
(٤٦) الاعلان بالتوبيخ للسخاوى ص١٧ .
(٤٧) التاريخ والمؤرخون د. حسن مؤنس ص ١١ .

الآتية أيقنت انها كما ذكرت « قال مؤلفه رحمه الله تعالى ورضى عنه آخره وانتهى تبييضه مع اننى لم استوف فيه الغرض فى أحد الربيعين سنة سبع وتسعين وثمانمائة بمكة المشرفة وكتبه محمد بن عبد الرحمن السخاوى وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما »(٤٨) .

٢ ــ نسخة من المخطوطة سنة ٩٠٠هـ :

وهى نسخة محفوظة فى خزانة رواق الأتراك بالأزهر الشريف بمصر وهى لم تطبع والاستدلال على ذلك ما قاله الدكتور صالح أحمد العلى الذى ترجم الكتاب من الانجليزية الى العربية قال : «وقد حاولت أن أرى المخطوطة التى نقلت منها مخطوطة تيمور تاريخ ٧٠٤ والتى كتبت سنة ٩٠٠ هجرية . والنص يقول : انتهى الى هنا فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى سنة تسعمائة بمنزل كاتبه من مكة المشرفة المفتقر الى لطف الله وعونه أبى الخير وأبى فارس محمد المدعو عبد العزيز بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمى المكى الشافعى والأثرى ، عاملهم الله بلطفه الخفى(٤٩) .

٣ ــ نسخة من مخطوطة « تيمور » سنة ١١١٥ .

وقد تمت كتابة هذه النسخة على يد الفقير عبد الوهاب بن محى الدين السلطى نسبة والدمشقى وطنا ومولدا غفر الله له ولوالديه ولسائر

---

(٤٨) راجع النسخة المطبوعة ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩ تيمور طبعة القدسى ص ١٦٩ لكتاب الاعلان السخاوى .

(٤٩) فهرس المخطوطات مكتبة الأزهر رقم ١٣٢ تاريخ ، النسخة المترجمة لروزنتال ١٩٦٣م .

المسلمين أجمعين فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى سنة خمس عشرة ومائة وألف(٥٠) ١١١٥هـ .

٤ ــ نسخة أخرى من المخطوطة : مصورة :

توجد فى مكتبة حلب اطلق عليها مخطوطة أحمدية ولم يدون أمامها برقم كشفها محمد راغب الطباخ عندما شاهد النسخة المطبوعة بالعربى فى دمشق سنة ١٣٤٩هـ ــ ١٩٣٠م(٥١) .

٥ ــ نسخة من المخطوطة : مصورة :

عرفت بمخطوطة ليدن رقم ٧٤٦ قد حققها وطبعها الأستاذ روزنتال تحت عنوان علم التاريخ عند المسلمين وقد كتبها رجل أسمه على ابراهيم اليمانى الحنفى ويشير الى أن السخاوى كان لايزال حيا عندما كتبت المخطوطة واعتقد انها ترجع الى النسخة الأولى لسنة ٨٩٧ أو النسخة الثانية سنة ٩٠٠هـ(٥٢) .

نتائج البحث :

قدم البحث دراسة لمنهج السخاوى وقد اهتم بمنهجه فى كتابه الاعلان على حسب ما توفر من معلومات وروايات عن ذلك المؤرخ .

انتهى البحث الى أن عنوان الكتاب للنسخ التى طبعت قد حدث فيه أخطاء ربما أن تكون من الطباعة أو غيرها فالعنوان الصحيح للكتاب

---

(٥٠) راجع النسخة المطبوعة سنة ١٣٩٩هـ للسخاوى التى لم يعلق عليها فى الهامش محققها المجهول ص ١٧٠ .

(٥١) راجع النسخة المترجمة للدكتور صالح أحمد العلى ص ١٥ .

(٥٢) المرجع السابق لكتاب الاعلان الدكتور صالح أحمد العلى ص ١٢

حسبما رجعنا الى المخطوطات فتبين أنه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ» وليس الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ(٥٣) ، أو الاعلان بالتوبيخ على من ذم علم التوريخ(٥٤) ، أو الاعلان بالتوبيخ لمن ذم علماء التاريخ(٥٥) .

بعض الباحثين أضاف كتابا آخر وهو «الجواهر الدرر» الى كتاب الاعلان وسماهما « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ »(٥٦) ، وهذا لم يرد فى النسخة المخطوطة بالأزهر .

بعض الباحثين كذلك نقل كتاب الاعلان من اللغة العربية الى اللغة الانجليزية وحققه واطلق عليه اسم جديد «علم التاريخ عند المسلمين» والذى قام بهذا هو الأستاذ الفريد روزنتال(٥٧) .

الدكتور بشار عواد الذى ألف كتاب « منهج الذهبى فى كتابه تاريخ الاسلام » ادعى أن كتاب الاعلان للسخاوى طبع فى القاهرة سنة ١٩٧٢م وانه يشتمل على ثلاثة أجزاء(٥٨) .

وبالرجوع الى كتاب الدكتور بشار تبين أنه اعتمد على كتاب الاعلان أكثر من ثمانين مرة ولم يحدد مثلا جـ١ أو جـ٢ أو جـ٣ وانما

---

(٥٣) راجع النسخة المطبوعة سنة ١٩٧٩م محققها مجهول .

(٥٤) راجع مقدمة تلك النسخة السابقة ص ٢ .

(٥٥) بحث منشور فى مجلة العربى العدد ١٥٧ ص ١٥ .

(٥٦) راجع النسخة المترجمة للأستاذ روزنتال ص ٣٣٨ .

(٥٧) رجع مقدمة بحث الدكتور بشار عواد علم التاريخ الاسلامى ص ٣٠ .

(٥٨) راجع الذهبى ومنهاجه فى كتابه الاسلام ص ٢٢٨ .

اكتفى فى هامش كتابه بلفظ الاعلان كذا (٥٩) وهذا يدل على أن الكتاب لم يشتمل على أجزاء ثلاث .

وبالرجوع الى النسخ التى طبعت لكتاب الاعلان سواء النسخة التى طبعت سنة ١٩٣٠م أو التى طبعت سنة ١٩٦٣م أو التى طبعت سنة١٩٧٩م نجد أن جميعها اشتملت على جزء واحد فمثلا طبعة١٩٧٩م تقع فى مائة وأربع وسبعين صفحة من القطع الكبير وان آخر صفحة بها ١٧٤ فقط .

والنسخة التى طبعت مترجمة للدكتور الصالح أحمد العلى سنة ١٩٦٣م تقع فى أربع مائة وستين صفحة من القطع الكبير أى أن آخرها صفحة ٤٦٠ ، بينما يشير الدكتور بشار فى كتابه الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الاسلام الى ص ١٥٧ هامش رقم ٧ الاعلان ص٦٧٥ ، ص ١٦٩ هامش رقم ١ الاعلان ص ٧٢١ ، ٧٢٣ .

واعتقد أن كتاب الاعلان جزء واحد ولا توجد فيه مثل هذه الصفحات وربما أن يكون الدكتور بشار على صواب اذا كان الكتاب قد طبع واشتمل على ثلاثة أجزاء كما ذكر أو انه قد اختلط عليه كتاب الاعلان ، وكتاب علم التاريخ عند المسلمين . وكلاهما للأستاذ روزنتال .

وهذا جهد مقل وأسأل الله القدير أن يلهمنا الصواب والرشد .

دكتور / محمد نيسان
جامعة الأزهر بأسيوط

---

(٥٩) راجع الذهبى ومنهجه فى كتابه الاعلان ص١٥٧، ١٦٩ ، ٢٢٨

المصـادر والمراجـع

الـكافيجى :

محيى الدين محمد بن سليمان ت ٨٧٩هـ ٠

المختصر المفيد فى علم التاريخ (مخطوط) ٠

السـيوطى جلال الدين عبد ابن أبى بكر ت ٩١١هـ

الـكافيجى : محيى الدين محمد بن سليمان ت ٨٧٩هـ ٠

الشماريخ فى علم التاريخ (مخطوط) ٠

الكاوى على تاريخ السخاوى محققه فيليب حتى ٠

الفارسى : عبد الرحمن بن عبد القادر ت ١٠٩٦هـ

زهرة الشماريخ فى علم التاريخ (مخطوط) ٠

قاسم عبده قاسم : دكتور

الرؤية الحضرية للتاريخ دار المعارف ١٩٨٥م ٠

حسين مؤنس : دكتور

التاريخ والمؤرخون دراسة فى علم التاريخ دار المعارف ٠

صلاح الدين المنجد :

أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب ١٩٦٣م ٠

شاكر مصطفى : دكتور

التاريخ العربى والمؤرخون جـ ١ ٠

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ٠

ابن العماد الحنبلى : أبو الفلاح عبد الحى ت ١٠٨٩هـ

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ٠

راوس : (أ ـ ل)

التاريخ وأثره وفائدته ترجمة مجدى الدين حفنى ٠

سيدة كاشف : دكتورة

مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه ٠

عبد العزيز الدورى : دكتور

بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ٠

عبد الحميد العبادى :

التاريخ عند العرب ٠

محمد عبد الغنى حسن :

التراجم والسير دار المعارف ٠

سعيد عاشور : دكتور

المماليك فى مصر والشام ٠

ابن خلدون :

مقدمة ابن خلدون ٠

السخاوى :

الضوء اللامع فى أعيان أهل القرن التاسع

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ٠

التبر المسبوك فى ذيل السلوك ٠